الفـصل الثامن

العلوم المسـاعدة لدراسة الـتاريخ

للغات.

والخطوط والوثائق والمخطوطات .

الرنوك والأختام .

الجغراقيا .

علم الاجتماع.

الآثار.

النميات.

الرحلات.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن

العلوم المساعدة لدراسة التاريخ

تتنوع العلوم المساعدة لدراسة للتاريخ باختلاف الأزمنة التاريخية والعصور المختلفة فالعلوم المساعدة لدراسة التاريخ القديم تختلف في طبيعتها عن العلوم المساعدة لدراسة التاريخ الحديث. ثم إن العلوم المساعدة لدراسة التاريخ المصري القديم تختلف عما يحتاجه المؤرخ لدراسة التاريخ اليوناني بمعني أن دراسة التاريخ القديم تحتاج إلي معرفة لغات الفترة موضوع الدراسة ودراسة الآثار الباقية الممثلة لهذه المنطقة أو تلك. فالدارس لتاريخ سومر لابد وان يتعامل مع الأدلة الأثريه واللوحات الطينية الممثلة للعصر السومري.

وبالنسبة لمصر فيتعامل مع كل مايجد من آثار ومن أوراق البردي المتشرةفي متاحف الدنيا إلي غير ذلك من الموضوعات المعينه علي البحث والدراسة.

ومن المواد المساعدة علي دراسة التاريخ تأتي اللغات في المرتبة الأولي ومعها الموضوعات المتعلقة بها كفقه اللغة ودراسة الخطوط ودراسة المخطوطات والوثائق والبرديات ثم تأتي الجغرافيا وعلم الاجتماع والأدب والآثار والنميات والفنون والرحلات، بالإضافة إلي الوثائق المختلفة من العصور القديمة والعصور الوسطي والعصور الحديثة.

اللغات والخطوط والوثائق والمخطوطات:

تعتبر اللغات من أهم العلوم المساعدة لدراسة التاريخ إذ لا بد للمؤرخ من اتقان اللغة التي يكتب بها حتي يستطيع أن يعبر تعبيراً دقيقاً سليماً عما يكتب كما

يبحث فيها بمعني أنه إذا أراد دراسة التاريخ الفرنسي في فترة معينة ونفترض أنها التاريخ الفرنسي الوسيط فمن الأساسي أن يعرف بل لا بد له أن يجيد اللغة الفرنسية القديمة لغة الوثائق حتي يتمكن من دراسة المصادر الأصلية المدونةبتلك اللغة.

كما يتعين علي المؤرخ الذي يعني بتاريخ سورية القديمة أن يعرف لغاتها القديمة من آرامية وعبرانية وسوريانية حتي يتسني له دراسة الوثائق الخاصة بتاريخ تلك الفترة وحل رموزها وقراءة نقوشها.

ويرتبط باللغة معرفة تطوراتها وما يدخل عليها من تغييرات إذ أن لكل عصر من العصور لغته المميزة التي تتفاوت استخدامات كلماتها وتعبيراتها من زمن إلي آخروكذلك معرفة الخطوط واختلافها ومعرفة عصرها وزمانها، وقد أصبحت دراسة الخطوط باعتبارها من العلوم المعينة لدارسي التاريخ من الدراسات المهمة المتخصصة، وظهرت مؤلفات في هذا الموضوع تضم نماذج للخطوط المختلفة الممثلة للأقاليم والمناطق والعصور. وعلم قراءة الخطوط Paleography أصبح من المهارات الجديدة التي يجب علي المؤرخ أن يهتم بها ويحاول أن يكتسبها وتظهر أهميتة قراءة الخطوط بصفة خاصة عند دراسة وتحقيق المخطوطات إذ أنه من الأهمية القصوي للمؤرخ أن يحدد زمن نسخ المخطوط أو زمن كتابته وذلك اعتماداً علي الخط الذي كتبت به.

وقد تطورت الخطوط العربية فظهر منها النسخ والرقعة والثلث والمغربي والفارسي والكوفي والطومار والغبار وسمي كذلك لدقته وصعوبة قراءته كأنه الغبار المتناثر وكان يستعمل في كتابة الرسائل التي يحملها الحمام الزاجل.

وقد ذكر القلقشندي أن المقر الشهابي بن فضل الله ذكر خمسة أقلام وهي: مختصر الطومار، والثلث، وخفيف الثلث والتوقيع ،والرقاع.

أما مختصر الطومار لقطع البغدادي الكامل، والثلث لقطع الثلثين وخفيف الثلث لقطع النصف والتوقيع لقطع الثلث والرقاع لقطع العادة.

ويلحق بالخمسة السابقه ثلاثه انواع اخري هي: الطومار الكامل، والمحقق، والغبار. فالطومار يكتب به السلطان علاماته علي المكاتيب والولايات ومناشير الإقطاع.

وأما المحقق فقد استخدمت كتابته في طغراوات كتب القانات من ملوك الشرق واستخدم خط الغبار في كتابة بطاقات الحمام والملطفات وما في معناها. وعلى ذلك يكون المستخدم في ديوان الانشاء في عهده ثمانية أقلام. (١)

والطومار نسبة إلي نوع من الورق، فأضيف إليه القلم الذي يكتب به علي ورق الطومار فقد ذكر القلقشندي أن عمر بن عبد العزيز أتي بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين، وبالضرورة لا يكتب فيه إلا بقلم الطومار وهذا دليل علي وجوده قبل ذلك ربما يعود إلي عصر معاوية بن أبي سفيان فهو أول من قرر أمور الخلافة، ورتب أحوال الملك. وقيل أنه كان من القصب الأخضر ويمكن أن يكون من القصب الفارسي وفي مصرمن البوص الابيض الغليظ.

أما مختصر الطومار فهو أقل من الطومار الكامل وكان يستخدم في ترويس المكاتبات حرصا علي عدم طمسها أما الثلث فهو ثلث مساحة الطومار ويستخدم في كتابة بعض الحروف مثل الجيم والطاء والصاد والضاد وغيرها.

وقلم الرقاع ومعناه أنه يكتب به الرقاع وهو جمع رقعة وتعني الورقة الصغيرة التي تكتب فيها اللطيفة والقصص، وهو أقصر من قلم الثلث وقلم التوقيع.

وأما المحقق فيكتب به في طغراوات القانات (والقانات تعني ملوك الترك وأصلها خاقان (قال مختصرها)، وكانت اللغة التركية تكتب بالحروف العربية أما الوثائق العثمانية فقد كتبت بالخط الديواني أو بخط القيرمة.

والخط الديواني من الخطوط العثمانية الذي كتبت به الاوامر السلطانية

---

(١) انظر القلقشندي: صبح الأعشي. حـ٣،ص ص٤٧: ٤٩

والخط الديواني من الخطوط العثمانية الذي كتبت به الأوامر السلطانية والفرمانات والأمانات. أما خط القيرمة فسمي كذلك اشتقاقاً من الكلمة التركية قيرمق والتي تعني الثني والتكسير، وهذا الخط أوجده العثمانيون ليكتبوا به ما يتعلق بالشئون المالية والإدارية وذلك ليحيطوها بالكتمان والسرية ، وهذا الخط نوع من الخط السري أدخل إلي مصر في القرن السابع عشر واستخدمه الكتاب الأتراك حتي اختفي في عهد محمد علي عام١٨٣٤م.(١)

وتعد دراسة الوثائق والمخطوطات والبرديات من الوسائل التي تساعد المؤرخ وتعينه في أبحاثه، فالوثائق هي عيون العصر الذي تمثله، وهي المصدرالأساسي للمؤرخ ودراسة الوثيقة سواء كانت معاهدة سياسية أو اقتصادية أو رسالة ودية بين سلطان وآخر من الأشياء الهامه فى عمل المؤرخ.

وقد أصبحت دراسة الوثائق علماً من العلوم الهامة وخاصة دراسة الوثائق البردية التي تمثل عصوراً مختلفة، ولقد اهتمت أوروبا اهتماماً كبيراً بالوثائق عموماً والوثائق البردية خصوصاً، وحفظتها بعناية بالغة في أرشيفاتها وقام المختصون علي تبويبها وتصنيفها وفهرستها وإخراجها في مجلدات تعين الدارسين علي التعرف علي مادة تاريخية أولية مما يثري أبحاثهم ويقدم لها الأدلة الموثوق فيها بدرجة كبيرة.

وقد تمكن الباحثون من التوصل إلي وسائل علمية في تقدير عمر الوثيقة معرفة عمر الحبر المكتوبة به، وتحديد نوع الورق، ومعرفة خصائصه وهنا لا بد أن نشير إلي أنه فيما يتعلق بالتاريخ القديم استطاع العلماء وخاصة العالم الأمريكي Lebby أن يتوصل ومنذ مطلع هذا القرن إلي استخدام نظريةCarbon 14 فى معرفة المخلفات الأثرية المتكربنة وتحديد عمرها الزمني، وقد استخدمت هذه الطريقة أيضاً في معرفة عمر القمح والسلال والعظام، وهذا يمثل إنقلاباً في الوسائل التي تعين الباحث علي إجلاء الغموض الذي يحيط بموضوع من تلك

(١) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي - ص٢٨.

وقارن ليلي عبد اللطيف: دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني. ص٤٧ وما بعدها.

الموضوعات. وقد استخدم العلماء أيضا الأشعة الحمراء والبنفسجية للتعرف علي الخطوط غير الواضحة أو توضيح المطموس منها.

وقد قام الباحثون باستخراج المصطلحات الحربية والاقتصادية وغير ذلك، وكلها مما يعين الدارس علي دراسة الوثائق والإفادة منها، وتقسم الوثائق إلي مجموعتين الأولي: وتشمل الوثائق الرسمية وهي تعني كل ما يصدر عن الحكومات والهيئات الرسمية في الدولة فيما يتعلق بالشئون الداخلية والخارجية، وما يصرح به أفراد الحكومات وما يحملة مبعوثوها إلي رؤساء الدول، وما يلقيه مندوبوها في المؤتمرات العامة والخاصة وما يوقعه رؤساؤها أو وزراء مسئولون فيها من اتفاقات ومعاهدات مع غيرهم من حكومات الدول الأخري.

ولأهمية الوثائق خصصت لها الدول دوراً خاصة للحفاظ عليها ورودتها بالمختصين في الخدمة المكتبية حتي تكون تحت تصرف الباحثين. ولكل فترة من فترات التاريخ وثائقها وأوراقها الرسمية، ويقول الدكتورحسن عثمان إن الوثائق في المعني العام تدل علي كل الأصول التي تحتوي علي معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دون علي الورق، ولكنها في المعني الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ هي الكتابات الرسمية مثل الأوامر والقرارات والفرمانات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية:

أما المجموعة الثانية فتعني الوثائق شبه الرسميه وهي بطبيعة الحال لا تقل أهمية عن المجموعة الأولي ذلك أنها تتمثل فيما يكتبه الموظفون الرسميون في الدولة وتشمل أوراق الدواوين وسجلاتها، ومشاريع القوانين، والقوانين المعمول بها في أقسام الدواوين المختلفة، والمعاهدات، والنصوص التي تصل إلي الباحثين إما مكتوبة أو منقوشة، بلغاتها الأصلية أو خلال ترجمات لها ومضابط المجالس التشريعية المختلفة، ومذكرات ويوميات ومراسلات الوزراء وأعضاءالحكومات، وتصريحات الزعماء السياسيين، ومؤتمراتهم إلي غير ذلك مما يدخل في عداد الوثائق.

وإذا توفرت للباحث مثل هذه الوثائق استطاع أن يقدم دراسة علمية موثقة، مدعمة بالأدلة التاريخية من مصادر أولية أصلية وعلي درجة عالية من الصحة خاصة إذا لم تتدخل أيدي الناقلين والناسخين فتغير من حقائقها أو تسقط بعضا من عباراتها مما يؤثر علي الرواية التاريخية فيها والحدث التي تحتوي هذه الوثيقة أو تلك.

ووثائق التاريخ الحديث كثيرة وفي متناول الباحثين، ومن ثم فإن الدراسات التاريخية في مجال التاريخ الحديث متقدمة بشكل ملحوظ بينما نجد الدراسات في مجالات التاريخ الأخري وإن كانت قد تقدمت كثيراً في هذا القرن إلا أن الوثائق ما تزال تحتاج إلي الجهد الكبير والتعاون بين الباحثين للكشف عما تحتويه من معلومات وبيانات جديدة مما يساعد في إيضاح وتفسير كثير من أحداث موضع الاختلاف او التى لا تزال موضع جدل بين المؤرخين. وعلي الرغم من التراث الإسلامي الضخم الذي بين أيدي الباحثين فإن كثيراً من الوثائق الإسلامية الهامة لم تصل إلينا، وربما يمكن إرجاع ذلك إلي سرعة حركة التاريخ الإسلامي وأحداثة الكثيرة المتلاحقة وترامي أطراف الدولة الإسلامية، وكثرة الدول المستقلة قياماً وسقوطاً مما أدي إلي ضياع ثروة علمية هائلة تمثلها وثائق العصور المختلفة التي تبددت أو ضاعت مع الأحداث الصاخبة المصاحبة للتاريخ الإسلامي.

كذلك تعرضت بعض الدواوين التي كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية للحريق وذلك مثل ديوان الكوفة الذي تعرض لحريق أتي علي كل ما فية من وثائق وأوراق رسمية وذلك عام ٨٢هـ/ ٧٠١م.

كما تعرض ديوان الفسطاط لحريق كبير كان سبباً في ضياع كثير من الأوراق الرسمية، وضياع كثير من وثائق الأمويين في أعقاب الثورة العباسية وكان الغزو المغولي لبغداد وراء ضياع أكبر ثروة وثائقية وعلمية لما تعرضت له عاصمة العباسيين من تدمير وتخريب لكل دورها ومكتباتها ودواوينها.

ولحسن الحظ وصل إلينا عدد من كتب النظم كما وصلت إلي أيدي

الباحثين بعض المستندات والوثائق التي تتعلق بالنظم الإدارية، يشير بعضها إلي النظم الاجتماعية وهي وإن كانت قليلة إلا أن أهميتها عظيمة فيما تقدمه للدارسين من صور تمثل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الاسلامية.

وتمثل البرديات وثائق هامة في تاريخ الحياة الاجتماعية والاقتصادية الإسلامية ويهتم الباحثون بالوثائق البردية اهتماماً كبيراً وقد تم العثور علي أوراق بردية هامة بالعربية والقبطية في إقليم الفيوم وهي تتضمن معلومات وبيانات هامة عن الإدارة في مصر في عصر الولاة، والحياة الاجتماعية في مصر الإسلامية.

ويركز الباحثون الآن جهودهم من أجل ترتيب وتنسيق هذه الوثائق لاهميتها القصوي في الدراسات التاريخية ذلك أنها تمثل صورة صادقة للنظم المالية والادارية والاجتماعية للعصور التي كتبت فيها.

ومن الإكتشافات الهامه العثور علي أوراق الجنيزا Geniza التي عثر عليها في غرفة ملحقة بالمعبد اليهودي بالفسطاط، والتي كان الكشف الحقيقي لها في عام ١٨٩٠م حين تناقلتها أيدي المستشرقين وباعة المخطوطات في القاهرة ومن ثم وصلت أجزاء كثيرة منها إلي مكتبات أوروبا وأمريكا.

كانت أكبر مجموعة من الوثائق الجنزية Geniza Documents هي التي وصلت إلي مكتبة البودليان باكسفورد Bodelian Library والتي باعها إلي الحاخام اليهودي (حاخام القدس) سليمان ورثيمر، كما أن هناك مجموعة كبيرة منها وصلت إلي فيلادلفيا، وثالثة تملكها المكتبة العامة في لننجراد.

أما أهم مجموعة علي الأطلاق فهي ما أستطاع الرحالة الانجليزي إيلكان أدلر Elkan Adler أن يحصل عليها خلال زيارته لحجرة الجنيزا في الفسطاط وكان ذلك في يناير عام ١٨٩٦م، وهذه المجموعة توجد الآن في مكتبةمعهد اللاهوت اليهودي في نيويورك.

ويقول المستشرق اليهودي جويتين: إن الوثائق الهامة التي تمثلها الجنيزا قد بيعت علناً بعد الحصول عليها من مقابر البساتين في القاهرة وذلك عام ١٩٠٨م.

وقد أدي هذا بالاضافة إلي ما سبق أن تعرضت له الوثائق من بيع وشراء إلي تفرقها في مكتبات أوروبا وأمريكا.

ووثائق الجنيزا تقدم صورة صادقة للحياة اليومية الاجتماعية والاقتصادية، لطائفة من طوائف المجتمع المصري وان كان ديفيد كدفمان لا يعتقد في قيمة تلك الأوراق.

وعلي الرغم من تعرض هذه المجموعة من الوثائق للتلف، فإن فيها وثائق كثيرة في حالة جيدة، ويصف صاحب دراسة في مجتمع البحر الأبيض المتوسط المستشرق اليهودي جويتين Goitein خطاباً حفظ ضمن أوراق الجنيزا أرسل من اليمن إلي الهند، ووصل هذا الخطاب إلي مصر ليستقر في هذه المجموعة الوثائقية ورغم الرطوبة وطول الرحلة الزمنية التي قضاها الخطاب التي بلغت ثمانمائة عام إذا أرسل عام ١١٤٩م فإنه لا يزال في حالة جيدة خطه واضح ومقرو. (١)

ولا تزال الدراسات في هذا المجال تحتاج إلي اهتمام أكبر حتي تتيح مصادر جديدة لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لطوائف القاهرة

وللمخطوطات أهمية عظيمة في الدراسات التاريخية إذ أنها تمثل التراث المكتوب وتغطي المخطوطات العربية وغير العربية مجالات شتي من مجالات المعرفة تحظى المخطوطات الخاصة بالتاريخ الإسلامي باهتمام كبير، ومع ذلك فهي لا تزال تحتاج إلي اهتمام أكبر من العلماء والباحثين لتقدم في شكل يمكنهم من الإفادة بها وهذا ما يسمي إصلاحاً بتحقيق المخطوطات.

وتحقيق المخطوطات من الدراسات الشاقة التي تتطلب صبراً وعلما وخبرة ودراية بأنواع الخطوط وأساليب النساخ علي مختلف العصور. وهناك دراسات خاصة بهذا الموضوع من أهمها ما قدمه الأستاذ عبد السلام هارون بعنوان: تحقيق النصوص ونشرها وفيه يبين الخطوات التي يجب أن يتبعها الباحث في تحقيق ونشر مخطوطات.

ولما كانت المخطوطات العربية تنتشر في مكتبات الدنيا، فعلي الباحث الذي يرغب في تحقيق مخطوط بعينه أن يتحقق من وجود نسخة وحيدة للمخطوط موضوع

1`- S.D. Goitein A Medirerranean Society Vol. T. Economic Foundatian. PP.1- 28

الدراسة أو أن له عدة نسخ فعلية وفي هذة الحالة الحصول عليها جميعاً ليختار أصلحها أصلاً للتحقيق.

أما في حالة كون المخطوط واحداً فسيكون هذا هو أصل التحقيق، وأما إذا كانت له صور أو نسخ مختلفة فعليه أن يختار أكمل وأحسن تلك النسخ وأقدمها إن أمكن وأقربها إلي العصر الذي تعالجة لتكون المخطوطة الأم أو الأصل الأول للتحقيق. ثم علي الباحث أن يتأكد من نوع الورق ونوع الحبر والخط وهناك وسائل كثيرة تعينه علي ذلك كما أن هناك خبراء في الخط ومعرفة عمر المخطوط يمكن أن يستعين بهم، ثم يبدأ بعد ذلك قراءة النص وضبطه وإعداده للنشر. وهو في ذلك يستعين بالمصادر المعاصرة التي أفاد مؤلفوها من تلك المخطوطة.

وبعد أن يعايش النص ويدرس عصره ومؤلفه ويري مؤلفاته إن كان كتب غير تلك المخطوط يهيئ مخطوطه ويعده للنشر.

الرنوك والأختام :

الرنوك هي علامات مميزة وضعها السلاطين علي دروعهم وسيوفهم وملابس الجنود والنبلاء وعلي الرايات والبنود والأعلام لتمييزها والدلالة علي الدولة. وقد لجأ السلاطين الأيوبيون والمماليك إلي ذلك، ومن تلك العلامات السيف والكأس والدواة والنسر وذيل الحصان والهلال وغير ذلك من العلامات.

ومعرفة الرنوك والأختام والعلامات الخاصة بكل سلطان تمكن الدارسين من تمييز الأدلة الأثرية التي تقع تحت أيديهم ونسبتها إلي العصر الذي تنتمي إليه، وقد لجأ العلماء إلي هذه الطريقة منذ أن بدأت الدراسات الأثرية، وذكر لنا Emery أنه استطاع أن يميز عدداً كبيراً من الآثار الخاصة بالأسرتين الأولي والثانية وذلك من قطع أثريه عبارة عن أغطية القدور الفخارية من ذلك ختم قدر للوزير المصري حماكا، وقد اعتبرها Emery من أهم المصادر التاريخية لتلك الفترة وقد عقد فصلاً

كاملاً في كتاب Arhaic Egypt عن هذه العلامات.(١)

وتأتي أهميتها من أنها تسجل أحداثاً هامة جنباً إلي جنب إلي إحتوائها علي معلومات عن نوع الطعام أو الشراب الموجود بداخل القدر.

ولعل هذه المقارنة لا تكون غريبة ذلك أن الإنسان منذ عصور استقراره الأولي كان يميل إلي التنظيم، والرنوك والأختام في الواقع ما هي الا نوع من التنظيم والتنسيق لشارات وأدوات الدولة.

وإذا عدنا للحديث عن رنوك العصور الإسلامية فإننا نقول أنه كان لكل طائفة من الطوائف علاماتها المميزة كما كان لكل فرقة من الجيش أيضاً علاماتها ورنوكها مثال ذلك أن الدوادارية كانت لهم رنوك جاءت علي آثارهم، ويذكر لنا ذلك الدكتور حسن الباشا فيقول: وعن الدودادارية وصلتنا نقوش وكتابات أثرية توضح أسماءهم ووظائفهم مصحوبة برنوكهم وكانت علي هيئة دواة، وكان السلطان يعطي الرنوك لأمرائه بما يتناسب مع وظائفهم، وكان الأمير يحتفظ برنكه حتي إذا إنتقل إلي وظيفة أخري.(٢)

ومن الطريف الإشارة إلي أن المتحف الأهلي بفلورنسا يحتفظ بمشكاة تحمل اسم الأمير طغيتمر الدوادار المالكي الصالحي وعليها رنكه المركب من الكأس والدواة.

الجغرافيا:

تعد الجغرافيا من أهم العلوم المساعدة لدراسة التاريخ ذلك أن العلاقة وطيدة بين ما يحدث الإنسان في بيئته وبين الأحداث التاريخية كما أن الحدث التاريخي الذي يقع في زمان بعينه لا بد وأن يتم في مكان بعينه.

والبيئة والإنسان هما موضوع التاريخ، وهنا يتضح الدورالذي تلعبه الظواهر

---

(1) Emery, Archaic Egypt, 194:202

(٢) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف علي الاثار العربية-ج٢ ص٥٣٢.

الجغرافية في التأثير علي مجريات الأحداث، فكم من الظواهر الطبيعية والجغرافية كانت من العوامل الحاسمة في تغيير نتيجة حرب من الحروب، وكم من الظواهر الطبيعية كانت وراء تغيرات سكانية عظيمة كما كانت الظواهر الجغرافية وراء هجرات الإنسان واستقراره وإقامة حضارات المجتمعات المستقرة وكان ذلك وراء عمران الكون، وعمران الأقاليم وكان للبيئة الجغرافية أثرها في قيام الحضارات الأولي فحول الأماكن الخصبة وحول وديان الأنهار قامت أولي الحضارات الانسانية

إن ما تقدمه البيئة الجغرافية من وسائل وخامات تعين الإنسان علي بناء مجتمعه ويمكن للانسان أن يطوع قدراته وخبراته لاستخدامها والعيش فيها، وكذلك في مناطق المناجم نري الإنسان يستخدم كل ما تقدمه له البيئه من أجل الطاقة وتطوير صناعاتة وتجديد وسائلها وأساليبها.

وفي مصر كان لنمو نبات البردي مثلاً أثره في أن المصري القديم ابتكر صناعة البردي ثم التوصل إلي استخدامه في الكتابة ليسجل عليها صفحات خالدات من التاريخ الإنساني.

وفي العراق حيث لم يتوفر البردي استخدم الإنسان ألواح الطين ومن ثم ابتكر الخط المسماري وطوع بذلك ما قدمته البيئة الجغرافية.

ومما لا شك فيه أن الأمثله كثيرة متنوعة توضح أهمية البيئة الجغرافية من مناخ وتضاريس وأراضي خصبة وأراضي صحراوية وجبال وأودية وأنهار إلي غير ذلك من ظواهر البنية البيئية مما له الأثر الكبيرفي صنع تاريخ منطقة من المناطق.

ومما تجدر الإشارة إليه دور الجغرافيين في اكتشاف الظواهر الجغرافية وخاصة دور الجغرافيين المسلمين، وما ابتكروه من آلات وما وضعوه من أزياج وجداول فلكية لرصد حركات النجوم والأجرام السماوية مما يعد أنجازاً رائعاً في ذلك المجال.

كما أن وصفهم للبلدان وتقسيمهم للأقاليم وتسجيلهم لعادات وتقاليد الشعوب كان له بالغ الأثر في تسهيل دور المؤرخ وإعانته علي دراسة التاريخ.

علم الاجتماع :

علم الاجتماع من العلوم التي لا يمكن للمؤرخ أن يستغني عنها في دراسة التاريخ، فلما كان علم الاجتماع يعني حركة المجتمع وتطوره ولما كان المحرك لأي مجتمع هو الإنسان وما يحيط من ظروف فقد برزت أهمية علم الاجتماع في االدراسات التاريخية، فهذا العلم يساعد المؤرخ في إثراء فكره التاريخي وتوسيع دائرة إدراكه للأحداث. وقد كان ابن خلدون المؤرخ هو مؤسس علم الاجتماع، ومقدمة ابن خلدون الجليلة القدر في الدراسات الاجتماعية لها نفس المكانة في الدراسات التاريخية.

وقد شهد علم الاجتماع تطورات كثيرة فظهرت فروعه المختلفة منها علم الاجتماع السياسي الذي يرتبط أشد الارتباط بالتاريخ وفيه يدلي عالم الاجتماع بالتفسيرات الاجتماعية للأحداث التاريخية أو لعلنا يمكننا أن نقول أن الباحث في علم الاجتماع يتناول الأحداث التاريخية في إطار تحرك الجماعات ونموها وتطورها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً بما يتضمنه هذا من عوامل مختلفة تظهر في مجتمع من المجتمعات.

الأدب :

ارتبطت نشأه الأدب بنشأة الانسان وهو يعبر بالأدب عن مجالات حياته المختلفة نثرا وشعرا وقصة وملحمة إلي غير ذلك من فنون الأدب المختلفة، فقد عبر الإنسان القديم عن تطوره الفكري خلال العصور المختلفة بالادب، وعبر عن تطور فكره الديني من خلال الأدب، كما عبر عن مراحل حياته تقدما وتخلفا بالادب ويمكن للمؤرخ أن يعتمد علي الأدب، في دراسته للتاريخ باعتباره مصدراً حياً للفترة التي يمثلها.

ففي مصر القديمة كان الأدب إنعكاساً صادقاً معبراً عن حياة المصري القديم فقصة أيباور والفلاح الفصيح والملاح الغريق، وسنوحي وإحساسات الغريب فيها

وحنينه إلي الوطن تعبير عن ملامح الشخصية المصرية، كما تقدم نماذج من مشاعر الأديب المصري في مواقف مختلفة.

ولدينا من الأدب المصري القديم روائع أدبية تعكس الحالة الاجتماعية في عصر الإنتقال الأول، حيث اضطرب الأمن وعمت الفوضي واختلت المعايير الاجتماعية واهتزت القيم في المجتمع فيقول في ذلك الحكيم إيب ور في ذلك تدور البلاد كما يدور دولاب الفخار حقاً. إن النيل لا يزال يفيض ومع ذلك: لا يقوم بحراثة الأرض أحد من الفلاحين لأن كل شخص يقول إننا لا نعلم ما سوف يحل بالبلاد حقاً، لقد خربت البلاد وخيم عليها الحزن مقروناً بالعويل والبكاء.

ثم يقول إيب ور:

إن النبلاء ليزيد بؤسهم وأن الأدنياء لتفيض قلوبهم بهجة وسروراً، إن شعار كل مدينة أصبح: لنطرد الأغنياء من بيننا، حقاً لقد أصبح الذهب والفضة والأحجار الكريمة في رقاب الإماء في حين أصبحت الحرائر تسري في البلاد وتقول السيدات المرفهات آه لو وجدنا ما نأكله، هناك لم يعد بعد موظف يشغل الوظيفة اللائقة به، وأصبح الناس كقطيع من غير راع قد استبد به الروع، هاك من كان يرتدي الملابس الجميلة من قبل أصبح يغدو في أسمال بالية في حين من كان لا يستطيع الحصول علي ملبس له أصبح يرتدي الكتان الفاخر، هاك من لم يكن يجد بالأمس خبزاً أصبح يمتلك شونة غير أنه يملأ أهراءه بمتعلقات غيره.

وتوضح القطع الأدبية المماثلة الحالة التي عانت منها البلاد، وتبين لنا شكايات الفلاح الفصيح المساوئ الاجتماعية وتفشي السرقة والخداع وإنحطاط القضاء وأنه لاعلاج لهذه المساوئ إلا إذا حل القانون محل الظلم والاستبعاد والفوضي وإلا إذا امتنع الموظفون عن الرشوة وإلا إذا ساد العدل شئون القضاء.

وإذا أخذنا نموذجاً من الأدب العراقي القديم نجد أنه أيضاً ينبض بإحساس الأديب تعبيراً عن ظروفه التي يحياها في مجتمعه، فمثلاً نجد جلجامش الإنسان

يواجه بالحقيقة المروعة حقيقة الموت، عندما يفقد صديقه فيهيم علي وجهه في كل مكان عله يصل إلي تفسير لتلك الظاهرة.

وتمثل الإلياذة والأوديسا الأدب اليوناني القديم، وهي من أروع الأدبيات التي تركها الإنسان اليوناني القديم، إن هومير وهو يرسم لوحته الفنية الرائعة مصوراً للصراع والتنافس والحرب يعكس صورة للمجتمع اليوناني القديم.

ويقول الأستاذ الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيي: إن الأدب لا يقل عن أي مصدر آخر في أهميته، ويضيف أرجو الا أكون مبالغاً إذا قلت أنه ربما كان أهم من الوثائق الرسمية التي تعطي عادة إن لم يكن دائما وجهة نظر جانب واحد من المجتمع وهو جانب الحكام سواء أكان هؤلاء الحكام أفراداً أو كانوا يمثلون طبقة.

والتاريخ إذا أريد له أن يصبح كائناً حيا نابضاً وليس مجرد سجلات جافة لمجموعة من الحكام لا بد أن تكتمل أبعاده ولن يتم ذلك إلا بالتعرف علي كافة جوانب المجتمع وذلك من خلال الأدب.

وهوميروس شاعر اليونان الأعمي استطاع في ملحمتيه الإلياذة والأوديسا أن يصور عصراً كاملاً من حياة اليونان. ركز فيهما علي الحروب الدائرة بين اليونان والفرس، وبين القواد اليونانيين المحاربين أنفسهم، حتي يمكن القول أن الإلياذة والأوديسا تاريخ حقيقي لشعب اليونان.

ومن المصادر الأدبية الهامة لأوربا النهضة ما كتبه دانتي الليجيري في الكوميديا الالهية (1) The Divine Comedy

ودانتي الليجيري الفورنسي يقدم للدارسين قطعة أدبية ملحمية رائعة يستطيع المؤرخ فيها أن يري دانتي وتاريخه وتقسيماته للأرض، وتصوره للجحيم وتقسيمه له متمثلاً الإنسان ومعاناته للألم، وتقلبات الإنسان بين الأحاسيس البشرية المختلفة ويرتفع دانتي ويحلق في الآفاق العالية ثم يسقط متخبطاً في الرذيلة والخطيئة، وهو حين يأخذ الإنسان إلي جبل المطهر يرمز إلي الإصلاح من أجل مستقبل أفضل.

(1) Dante: The Divine Comedy .Translated by Sayers & Barbara Reynolds. 3 Vols. london. 1966

ومن خلال الحياة القاسية التي عاشها دانتي في المنفى ومن خلال إحساسه المرهف ومشاعره الرقيقة صاغ ملحمته أو كوميديته التي تمثل الحياة في إيطاليا قبيل عصر النهضة

والكوميديا الإلهية تجمع عناصر كثيرة في نسيجها العجيب، فهي تمثل ثقافة دانتي الواسعة العريضة المتنوعة، وفيها فكر من الشرق ومن الغرب من الشرق ومن الغرب، وفيها مؤثرات إسلامية كما يذهب فريق من المفكرين فقد تأثر Dante بمشاهدات النبي ﷺ ليلة عرج به إلي السماء فاقتبسها اقتباساً خاطئا في رأينا إذ لم يوفق في عرضة للفكرة ولا للموضوع.

وفيها السياسة والدين والفن والأدب، وفيها الفضيلة والرذيلة، وفيها شقاء الإنسان ونعيمه وسعادته وبالرغم من أن مسرح الأحداث التي يعالجها دانتي هو العالم الآخر إلا أن المؤرخ يستطيع أن يلمح الرمزية فيها وكيف أن دانتي يريد عالماً أفضل كما يريد سعادة الانسان. وهو في ذلك يرسم صورة المجتمع كما يتمني وهو في هذا يعيد إلي الأذهان الصورة المثالية للدولة التي رسمها من قبل المفكرون اليونانيون ومن بعدهم المفكرون المسلمون.

والكوميديا الإلهية تعكس ثقافة دانتي الدينية والسياسية والذاتية فهي تعبر عن أوربا في عصره، كما تعبر عن القلق والتغيير الذي عاشته أوربا بعد زوال العصور الوسطي وانهيا سلطه الدولة والكنيسة معا.

وتمضي بنا مسيرة الأدب حية نابضة مع تاريخ البشر، ليعيش الإنسان حياته في عصر النهضة، والأدب فيها خير تعبير عن حركات وأفكار شعوبها وتطوراتها الدينية والسياسية والاجتماعية. ثم يأتي العصر الحديث ونري الأدب فيه تعبيراً صادقاً عنه، حيث عصر القلق الذي أنتج أدب القلق.

والحركة الأدبية في كل العصور إنما هي إنعكاس لمشاعر المجتمعات ونبضها، كما أنها تقدم أفكار الأدباء الناتجة عن تجاربهم الذاتية وآرائهم السياسية وانتماءاتهم الفكرية، كما تعبر عن خوف الإنسان وحروبه الكثيرة وصراع الأيدولوجيات

المتناحرة، ولعل ما كتبه الأديب الإنجليزorwell. في كتابة القصيراو بالاخري في روايته الساخرة الرمزية Animal Farm مثال رائع علي صراع الأيدلوجيات وزيف الشعارات والقيم الفارغة التي تنادي بها تلك الفلسفات المحدثة. وقد ثبت حدث Oewell وانهارت تلك النظريات وضاعت هيبتها وانتهت إلي الأبد أسطورة الشيوعية وانهارت نظرية ماركس، وظهرت قوي جديدة أهمها دول الكمنولث وذلك بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي المعقل الأساسي للنظرية الشيوعية فكراً وتطبيقاً.

والأدب الفرنسي الذي كتبه كثيرون في العصر الحديث يمكن المؤرخ من معرفة فرنسا ما قبل الحرب ثم حياتها وتاريخها وأخبار شعبها ومعاناته، وما طرأ علي قيمه وأخلاقه وعاداته من أثار سيئة للحرب العالمية الثانية. وهذا يؤكد أهمية الأدب وقيمته كسجل حي يعين الدارس في التاريخ، ويضع أمامه صورة متكاملة للمجتمع في الفترة التي يمثلها الأديب.

وأدبنا في مصر الآن، أدب التفاؤل والعودة إلي الأصول الأولي للمصريين والقيمه الاصيله للمجتمع وحب الوطن والأرض، والتفاني من أجل مصرالقيم التي انصهرت فيها الحضارة القديمة داخل بوتقه الاسلام يمثل المرحلة التي نعيشها وهذا مثال صادق علي مدي معايشة الأديب لأحداث مجتمعة، وصدق تصويره للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في زمانه، وهو أيضاً أصدق الناس تصويراً للأخلاق والقيم والذوق العام، وهو العين التي تقدم للمؤرخ فيما بعد صور صادقة لفترة عايشها وعاصرها وأحس بها فصاغها أدباً شعراً ونثراً ومسرحاً وملحمة وأغنية وزجلاً وقصة.

الآثـــــــــار:

لايمكن لدارس التاريخ أن يعمل دون الاعتماد علي الآثار التي تمثل العصر الذي يقوم بدراسته. ففي العصور القديمة تقدم الآثار الأدلة الناطقة لحضارة الإنسان وحياته وتقدمه أو إنحطاطه وتدهور حضارته. وكذلك في العصور الوسطي يعتمد المؤرخ علي الآثار، وللأدلة الأثرية أهميتها الحيوية في إثبات وتأكيد وتوثيق الحقائق

والمعلومات التي يأتي بها المؤرخ ،والآثار الإسلامية المنتشرة في أنحاء الدنيا خير دليل علي إنجازات المسلمين كما أنها خير عون للمؤرخ لدراسة عصر من العصور التاريخية

إن آثار القري والمدن، والمعابد والمسلات والخراطيش علي جدران المعابد المختلفة والتي تضم أسماء الملوك، والنقوش التي تخلد ذكري انتصارات الشعوب في حروبها وفي كفاحها والمساجد والمدارس والكنائس والمدن كلها أدلة ناطقة علي عبقرية العقل البشري والرخاء والعمران والسلام .

النقـــود :

تعد النقود والمسكوكات والعملة من الوسائل المعينة والعلوم المساعدة للمؤرخ، فهي تمثل العصور المختلفة التي ضربت فيها. وهي توضح حكم الملوك والسلاطين والخلفاء ومدي استقلال الإقليم أوتبعيته تنتمي كما تعكس الحالة الاقتصادية للعصر الذي ينتمي إليه فقراً وغني رخاء واستقراراً فقيمة العملة وما بها من ذهب أو فضة، تمثل الجودة، والعملة وما بها من معادن خسيسة تمثل الرداءة، وذلك خير دليل علي اقتصاد العصر الذي تمثله.

الـــرحـــلات :

تمثل الرحلات شغف الإنسان ولا سيما الرحالة بالمعرفة والتقصى واستطلاع أخبار وأحوال الشعوب المجاورة. والرحلة قديمة في حياة الشعوب، فالمؤرخ اليوناني هيردوت قام برحلاته إلي الشرق وزار مصر وكتب عن أهلها وعاداتهم ونظمهم ودياناتهم واقتصادهم وأساطيرهم مما يقدم صورة حية ناطقة لفترة من تاريخ مصر.

كما قام الجغرافيون أيضاً برحلات كثيرة وسجلوا مشاهداتهم عن البلدان التي زاروها.

وللرحالة المسلمين مكانة مرموقة في ذلك المجال، فقد سافروا وجابوا العالم دون كلل، ودونوا أخبار الأقاليم والبلدان، وأثروا المكتبة التاريخية بمعلومات قيمة تعين المؤرخ في دراسته.

ومن أهم الرحالة المسلمين ابن جبير وابن بطوطة اللذين جالا في البلدان مصورين أحوال الناس وطرائق حياتهم، وسجلا إنطباعهم عن نظمهم وتوارثهم وحضارتهم، وزيهم ومساكنهم وأسواقهم ،كذلك من أهم الرحالة المسلمين المؤرخ المسعودي الذي جاب البلدان وكذلك المؤرخ المصري القضاعي الذي زار بلاد الروم ومثل مصر سفيراً لدي البلاط البيزنطي.

وعلي هذا نري أن علوماً كثيرة متنوعة اعتبرها المؤرخون خير معين لهم في دراسة التاريخ ويمكننا أن نضيف علوماً جديدة ظهرت في النصف الأخير من هذا القرن مثل الإحصاء والعلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية وغير ذلك من التخصصات الجديدة التي لا شك أنها تفيد المؤرخ وتضفي علي فهمه للتاريخ أبعاداً أرحب من أجل البحث الدقيق عن الحقيقة.